ماكروبنية النص - الخطوات المنهجية للتحليل

عبد الحق قاسمي
مركز البحث العلمي والتقني
لتطوير اللغة العربية

gashak@protonmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/06/17 تاريخ القبول: 2021/05/19

الملخّص

تناول هذا البحث مفهوما مهما في الدراسات النصية يتعلق بفهم النص، يُعرف بالماكروبنية، حيث عرض الخطوات المنهجية التي ينبغي على المحلل إتباعها للوصول إلى المعنى العام للنص، كما أشار إلى أن هذا المفهوم يسعى لأن يبني نموذجا شبيها بالآليات التي يستخدمها المتلفظ المشارك (المتلقي) في فهمه للنص، ويكون هذا بالتعرف على الأنشطة الإدراكية التي يستعملها المتلقي في فهمه، كما تعمل المفاهيم الحديثة في اللسانيات الإدراكية لفهم وتذكر النصوص بتناول مستويات متعددة للنص ومحتوياته، حيث تميز بين شبكتي ربط مختلفتين: تتمثل الأولى في الميكروبنية، وهي تتعلق بالمستوى الإفرادية والتراكيبية والدلالية، أما الأخرى فتتمثل في الماكروبنية وتتعلق بالمستوى الدلالي الكلي والماكرو فعل الخطابي. لذا تناول البحث الفرق بين الماكروبنية (المعلومات المعقدة في النص) والميكروبنية (المعلومات البسيطة) من الجانب الإدراكي، وهو يقوم أولا على التعرف على أساس النص الصريح، وثانيا على القواعد العامة التي تسمح بتلخيص معنى النص التي تطبق على القضايا والمتواليات، سواء كان معبرا عنها صراحة في النص أو كانت مضمنة تستنبط من المعارف العامة. وكيف تتحول من مستواها المحلي إلى المستوى المعقد، وثالثا على معرفة البنية الفوقية، بتتبع أطوار النص. كما خرج البحث بأن هذه القواعد الشكلية لا يمكن الاعتماد عليها كليا في استنباط ماكروبنية النص، لأنه لا يمكن حصر الاحتمالات التي تحمل المتلفظ المشارك على الاحتفاظ

بمعلومة دون غيرها، إذ إنه راجع إلى تفعيل مبدأ الملاءمة المتعلق بالمقام واستعدادات المتلقين، وهذا ما لا يمكن ضبطه بقواعد شكلية مجردة.

الكلمات المفاتيح:

ماكروبنية – ميكروبنية - لسانيات إدراكية - بنية كلية - بنية النص الدلالية - بنية فوقية - تحليل النصوص.

المؤلف المراسل: عبد الحق قاسمي، البريد الالكتروني: gashak@protonmail.com

Macrostructure de Texte - étape méthodologiques

Résumé

Cet article traite d'un concept important dans les études textuelles liées à la compréhension du texte connu sous le nom de macrostructure, il présente les étapes méthodologiques que l'analys te doit suivre pour atteindre la signification générale du texte, et indique également que ce concept cherche à construire un modèles imilaire aux mécanismes utilisés par le co-énonciateur (le destinataire) lorsqu'il comprend des textes, et c'est en identifiant les activités coutumières que le co- énonciateur utilice dans sa compréhension, ce concept traite de plusieurs niveaux d'un texte et son contenu; il distingue deux réseaux de liaison différents: le premier est en microstructure, et il se rapporte aux niveaux de lexique et de syntaxe et de sémantique, et l'autre est représenté en macrostructure, et il est lié au niveau de la structures émantique globale et des macro-actes du discours. Par conséquent, cette recherche a traité de la différence entre Macrostructure (les informations complexes dans le texte) et Microstructure (Informations simples) du point de vue de la linguistique cognitive, car cela dépend d'abord de la reconnaissance de la base de texte explicite, ensuite des macro-règles qui permettent de résumer le sens du texte et, en troisième lieu, extraire la super structure. Au final, la recherche a conclu que ces règles ne peuvent pas être entièrement invoquées pour conclure la macrostructure d'un texte, car les possibilités qui véhiculent le co-énonciateur ne peuvent pas être limitées pour préserver quelques informations de texte sans les autres , car elle est due à l'activation du principe de pertinencelié à la situation et à la connaissance écyclopédique des utilisateurs de la langue, et cela ne peut être ajusté par des règles morphologiques abstraites.

Mots clés:

Macrostructure - Microstructure - Linguistique cognitive - Structure globale - Structure de texte sémantique – Superstructure - Analyses de texte.

Macrostructure text - methodological steps

Abstract

This paper dealt with an important concept in the textual studies related to the understanding of the text known as Macrostructure, it presented the methodological steps that the analyst should follow to reach the general meaning of the text, and also indicated that this concept seeks to build a model similar to the mechanisms used by the co-utterer (the recipient) when he understands texts, and this is by identifying the customary activities that the co-utterer uses in his understanding of it, this concept deals with multiple levels of a text and its contents; it distinguishes between two different linking networks: the first is in Microstructure, and it relates to the levels of lexic and syntaxe and semantics, and the other is represented in Macrostructure, and it is related to the level of global semantic structure and macro-acts of discourse.There fore, this research dealt with the difference between Macrostructure (the complex informations in the text) and Microstructure (Simple Informations) from the cognitive linguistics view, as it depends first on recognizing the explicit text-base, secondly the macro-rules that allow to summarize the meaning of the text, and thirdly extracting the superstructure, as the research concluded that these rules cannot be completely relied upon to conclude the macrostructure of a text, because the possibilities that carry the co-utterance can not be restricted to preserve information without others, as it is due to the activation of the principle of relevance related to the situation and the ecyclopedic knowledge of language users, And this cannot be adjusted by abstract morphological rules.

Key words:

Macrostructure -Microstructure - Cognitive linguistics -Globale Structure - Semantic text structure - Superstructure - Text analyses.

تمهيد

سأتطرق في هذا البحث إلى مفهوم عُرف في الدراسات النصية بماكروبنية النص، وهو يتناول جانبا من البناء الدلالي له، عن طريق إعداد نموذج يدرس المعنى الكلي له قصد التعرف على معناه العام في بناء شامل حاوٍ لما جاء فيه. ومن أجل التوصل إلى هذا يحاول هذا النموذج أن يُضاهي الكيفية التي يتشكل بها معنى النص في ذهن المشاركين في العملية التلفظية، سواء لدى المتلفظ حين يقوم بالإرسال، أو المتلقي (أو ما يدعى: المتلفظ المشارك) حين يعيد بناء النص عند تلقيه.

ويكسو هذا المفهومَ تعقيدٌ، سببه ارتباطه بمفاهيم أخرى تلتقي فيها كثير من المجالات العلمية، كالنفسانيات الإدراكية، والتداولية، والدلاليات، إضافة إلى اللسانيات واللسانيات النصية وتحليل الخطاب، وأيضا لأن كثيرا من المفاهيم التي استعملها فان دايك (وهو من استحدث هذا المفهوم) لم تكن ثابتة، بل مرت على مراحل وتغييرات، فكان يتراجع عن بعض المفاهيم فيعدلها أو يتخلى عنها، لأجل هذا فإن عدم أخذ هذا المفهوم في إطاره النظري الذي قصد له قد يؤدي إلى الاضطراب.

ورغم انتشار هذا المفهوم في الدراسات اللسانية عند الغرب وتلقيه بالقبول في كثير من البحوث التي تتناول تحليل الخطاب واللسانيات النصية، نجد في المقابل إهمالا ملحوظا له في الدراسات التي باللغة العربية، عدا بعض الترجمات والدراسات السطحية غير الموفية له حقه. وعلى قلة هذه الدراسات فكثير منها يفتقد إلى الدقة في تحديد المفاهيم والمعارف العلمية المتعلقة بها. ولعل خالد توفيق مزعل (في مقال له عنوانه: مصطلحا البنية الكبرى والعليا عند فان دايك) هو الوحيد الذي أفرد له بحثا مستقلا، لكن بحثه مليء بالأخطاء العلمية والمنهجية، ويفتقر إلى التحقق من المعلومات، ويُلمس في بحثه ضعف كبير في تحديد هذا المفهوم كما أراده له فان دايك، فهو يدرجه ضمن نظرية نحو النص التي تخلى عنها فان دايك، إضافة إلى سوء فهمه لكثير من المصطلحات كالقضية، وأساس النص والأبنية

السطحية وغيرها. أما غيره فهناك أعمال أشارت إلى الماكروبنية في سياق أعم، من ذلك: محمد الخطابي في كتابه لسانيات النص، إلا إنه يخلط بين موضوع الخطاب والبنية الكلية ولا يرى فرقا بينهما، كما حصر هذا المفهوم في الماكروقواعد، ولم يراع تطور النظرية ولا إطارها العام. كما تناول سعيد حسن البحيري في علم لغة النص الجانب الإدراكي للمفهوم بعموم، في إطار حديثه عن مشروع فان دايك في إنشاء نحو للنص. ومنهم أيضا عزة الشبل في علم لغة النص النظرية والتطبيق التي يُحسب لها أنها طبقت الماكروقواعد على نص ولم تقف عند الجانب النظري، ورغم أنها أشارت إلى الجانب المقامي والمعارف المقامية والموسوعية، إلا أنها غفلت عن تناول أساس النص وما تم حذفه منه، وعن الجانب الإدراكي. ومنهم مفتاح بن عروس في الاتساق والانسجام في القرآن الكريم أين أشار إلى الماكروقواعد، إلا أنه لم يتناول أساس النص ولا مفهوم القضية ولا الجانب الإدراكي ولا المعارف الموسوعية، كما أنه اعتمد مراجع شارحة بدل الأصول. ودون هذه الدراسات يمكن أن نقع على بعض المذكرات والأطروحات التي تعرضت لشيء من هذا المفهوم (وإن لم أقف على بحث مستقل عنه) غير أن أكثرها- مما وقفت عليه- ينقصه الدقة في تحديد هذا المفهوم.

لا شك أني لن أتناول في هذا البحث كل المسائل المتعلقة بهذا المفهوم، ولا كل ما يدور في فلكه من مفاهيم، وإنما سأركز على تحديد كيفية التعرف على ماكروبنية النص، وعلى الآليات التي يعتمدها المحلل ليتمكن من استنتاج دلالة النص الكلية للنصوص التي تعرض عليه، والتي غالبا ما يستخرجها المتلفظ المشارك بطريقة تلقائية غير واعية. ومن أجل التعرف على الخطوات الإجرائية لهذا التحليل ارتأيت تحليل نص «زرياب المغني» لعبد الحميد العبادي، لتتوضح فائدة هذه النظرية، وكذا محدوديتها. على أن يكون هذا البحث كالمقدمة لبحوث لاحقة تتناول مفاهيم متعلقة به.

1. تعريف الماكروبنية

سأبين هنا المراد بالماكروبنية[1] في اللسانيات النصية، انطلاقا من أفكار فان دايك، الذي أسهب في تحديد هذا المفهوم في مؤلَّف مستقل، كما ذكرت، إذ يُعد أول من استخدم هذا المصطلح بمعناه الذي سأشرحه هنا، والذي ينتمي إلى ميدان اللسانيات النصية، إذ يقول:

«الماكروأبنية هي مستوى أعلى من الأبنية الدلالية أو المفهومية، مُنظِّمة للميكروأبنية المحلية للخطاب والتفاعل وعملياتهما الإدراكية» (Van Dijk, V) 1980).

قد يعتلي بعض الغموض على هذا التعريف لأول وهلة، للتكثيف المصطلحي الذي فيه، لذا سأحاول أن أجلي عنه شيئا عن هذا التعقيد، وذلك بأخذ أجزائه بطريقة منهجية تراعي تجزئته وربطه بسياقه الأوسع بالتوفيق بينه وبين أفكار فان دايك وإشكالياته وأهدافه البحثية، حتى يزول ما به من غموض.

1. 1. «[الماكروأبنية]: أبنية مفهومية مُنظِّمة للميكروأبنية المحلية»

دون مراعاة ترتيب أجزاء هذا التعريف، أبدأ بتبيين معنى الميكروبنية، إذ لا يمكن فهم الماكروبنية إلا بمعرفة علاقتها بمقابلتها الجزئية (المحلية). يشير فان دايك أن:

«البناء الدلالي الإجمالي للمعلومات المعقدة [يقصد هنا الماكروأبنية] يجب أن يُحدَّد باعتبار أبنية (دلالية) أخرى (أي: تلك التي في المستوى البسيط أو المحلي، كمعاني الكلمات، والجمل، والعبارات، والأحداث البسيطة)، ولأسباب عملية يجب أن نستعمل مصطلح ميكروأبنية (دلالية) لهذا النوع من المعلومات المحلية» (Van Dijk, 1980, 13).

من أجل التفريق بين الماكرو- والميكروبنية، نرجع إلى مفهوم «المستوى»، فالماكروبنية تمثل مستوى أعلى وأكثر تجريدا للمعلومات الدلالية، في حين أن الميكروبنية تتناول المستوى المحلي للتحليل كـ: الكلمات والجمل والعبارات والفقرات الخ (Van Dijk, 1980, 13). وهذا راجع إلى التصور القائل بأن «النص» يتشكل في مستوى أول من عناصر قاعدية (كـ: الأصوات والكلمات، والجمل والعبارات والقضايا الخ)[2] تترابط في

هـذا المسـتوى الأدنى عـبر مجموعـة مـن القوانـين العُرفيـة القابلـة للوصـف، وتتعالق فيما بينهـا بطريقـة تسـمح لهـا بـأن تنتقـل مـن مسـتواها إلى المسـتوى الأعـلى منـه، ومنـه إلى أعـلى منـه وهكـذا، لترجـع دراسـة هـذه الأخـيرة إلى حيِّـز ضيـق في النـص، وهـذا هـو الـذي يطلـق عليـه فـان دايـك «المسـتوى المحـلي» للنـص (أو الخطـاب) أو الميكروبنية. في حـين تشـكل الماكروبنيـة «المسـتوى الـكلي» للنـص بتجريدهـا لجوهـر النـص ومضمونـه، وهـي تخـص المعنـى الـذي يرجـع أولا إلى النـص ككل؛ وثانيـا: إلى متواليـات الجمـل «المعقـدة». ويحـاول فـان دايـك أن يقـدم تفريقـا دقيقـا بـين المفهومـين، انطلاقـا مـن الفعـل الكلامـي الـذي يؤديـه كل منهـما، قائـلا أن :

«البنيـة المحليـة تركـز عـلى أفعـال الـكلام الفرديـة وروابطهـا، في حـين أن البنيـة الكليـة تركـز عـلى متواليـة فعـل الـكلام عـلى أنـه كلّ» (Van Dijk, 1980, 6).

يظهـر إذًا، أنّ الخاصيـة «المحليـة» للميكروبنيـة تتعلـق بـكل الأبنيـة التـي تعالَـج أو توصَـف في المسـتوى المحـلي كـ: الكلـمات والجمـل والقضايـا، والروابـط التـي بينهـا.

بقـي أن أشـير هنـا، أن التمييـز بـين الماكروبنيـة (والتـي لهـا تعلـق بالمعنـى الـكلي للنـص) والميكروبنيـة (التـي لهـا تعلـق بالمعنـى التفصيـلي لأجـزاء النـص وتراكيبـه) يقـوم عـلى أسـاس إدراكي، فهـذان المفهومـان في آخـر المطـاف راجعـان إلى حـدس المحلـل بالقـدر نفسـه الـذي يرتبطـان فيـه بمقبوليـة المتلفـظ المشـارك، مـن حيـث إن المعلومـات البسـيطة التـي يتـم تحليـل معانيهـا في حـدود الذاكـرة قصـيرة المـدى، يصنفهـا المحلـل في مسـتوى ميكروبنيـة، أمـا المعلومـات الأكـثر تعقيـدا فتدخـل في مسـتوى الماكروبنيـة، وسـأعود إلى هـذا الجانـب الإدراكي لاحقـا.

1. 2. «الماكروأبنية هي مستوى أعلى من الأبنية الدلالية أو المفهومية»

مـما أشـار إليـه كذلـك فـان دايـك في تعريفه، مـا يتعلـق بالجانـب الـدلالي للماكروبنية، فاسـتنتاجها يعـود إلى مقبوليـة المتلفـظ المشـارك وفهمـه، كـما أشرت سـابقا، وهـو مـا يـؤدي إلى الاختـلاف في تمييـز هـذه البنـى بـين متلقٍ وآخـر. فـكل قـارئ يجـد في النـص عنـاصر تُهمـه فتَعلَـق ببالـه هـي غـير مـا علِـق بذهـن غـيره، ويرجـع ذلـك إلى عـدة

عوامل منها المعارف القبلية للقارئ، واعتقاداته واهتماماته الخاصة عند تلقيه للنص، وكذا استعداداته المعرفية واللغوية، وقدراته الإدراكية. لكن، كثيرا ما يتفق المتلقون لقصة ما مثلا، على تذكر كثير من أحداثها وتطور شخصياتها وما إلى ذلك، وهذا التوافق الحاصل بينهم هو ما يجعل الماكروبنية قابلة للدراسة والتحليل، لذا تفطن الباحثون إلى خطوات منهجية تستعمل من أجل استخراجها؛ سيأتي تفصيلها.

رأينا في الجزء السابق من التعريف أن الماكروبنية تدرس المستوى المعقد من النص، وهنا نأتي على تفريق آخر، يقع بين الماكروبنية والبنية الفوقية، فتختص الماكروبنية بالجانب الدلالي للنص، أو بالمحتوى الذي يرسخ منه في الذهن إلى الماكروبنية، فالماكروبنية دلالية، إلا أن النص يقوم على ترتيب أشبه بالقواعد النحوية يرى فان دايك أنها مضمنة في كل نص طبيعي، ويردها إلى مفهوم جديد دعاه البنية الفوقية، وتتشكل البنية الفوقية للنص على شكل مجموعة من الخطاطات يمكن إرجاع كل النصوص إليها، وسيأتي توضيح معنى البنية الفوقية كذلك لاحقا.

والفائدة المرجوة من دراسة الماكروبنية لا تتوقف في التعرف على المعنى العام للنص، ولكن تتعدى إلى أجزائه، وكيف يقوم المتلفظ المشارك بإعادة بناء النص في ذهنه، وذلك لأن البناء الذي يبنيه لا يكون مطابقا بالضرورة لبناء النص حالَ إرساله، حتى ولو كان يحاول قدر الإمكان الاقتراب من النص الأصلي، وهو ما يفسر اختلاف تأويلات المتلقين، وهذا راجع لأمور كثيرة منها اختلاف الأحداث التي يركز عليها المتلفظ المشارك بإثباتها، أو الجزئيات التي يحذفها عند إعادة بنائه للنص، والتي يراها غير مهمة.

إلا أن هذه العملية الإدراكية المتمثلة في تأويل النصوص، لا تتنوع اعتباطيا بحسب أهواء الأفراد، ولكنها مضبوطة بمعرفتنا بالتفاعل الاجتماعي والبنية الاجتماعية. فنرى بذلك تعليلا لاختياراتهم تلك، يقول فان دايك:

«أحد الأهداف التجريبية من أجل نظرية حول الماكروأبنية هو معرفة كيف يُظهر الناس وعيهم لمثل هذه الأبنية عن طريق تحدثهم عنها أو أي نوع من

الميتا-ســلوك (Meta-behavior)» (Van Dijk, 1980, 13)

ومــن أجــل التوصــل إلى ماكروبنيــة نــص مــن النصــوص يســتعين المتلفــظ المشــارك أيضــا بمــؤشرات «شــكلية» تســاعده عــلى معرفــة مــا هــو مهــم أو ملائــم (Relevant)، أو مــا يدعــوه بــ(Macrorelevance)، ومبــدأ الملاءمــة هنــا يدخــل في التلقــي، فــإذا كان المتلفــظ يُفعّــل هــذا المبــدأ ليختــار مــا يناســب المقــام مــن كلــمات وملفوظــات، فكذلــك يعتمــد المتلفــظ المشــارك هــذا المفهــوم للتعــرف عــلى مــا هــو مهــم فيحتفــظ بــه، وفي هــذا الإطــار يســاعد العنــوان والعنــوان الفرعــي، والفهــرس والأســئلة والملاحظــات وكــذا التكــرار عــلى معرفــة مــا هــو ملائــم أو مفيــد في النــص فيقــوم بإثباتــه، ومــا هــو غــير ذلــك فيهملــه (Van Dijk, et al., 1983, 54).

ويســهُل التفطــن إلى الجانــب الإدراكي في هــذا الإطــار، فمــدى الأهميــة والملاءمــة في نــص مــن النصــوص يؤثــر في المعلومــة المســترجعة في الذاكــرة، وإن كان ذلــك بطريقــة تلقائيــة وغــير متعمــدة، فهــي ناتجــة عــن اســتجابة لمتطلبــات وظيفيتهــا المقاميــة والحاجيــة (1993,Tapiero)

1. 3. «[...] للخطاب والتفاعل وعملياتهما الإدراكية»

يمكن أن نرسم هذا الجزء من التعريف في الخطاطة الآتية:

خطاطة 1:

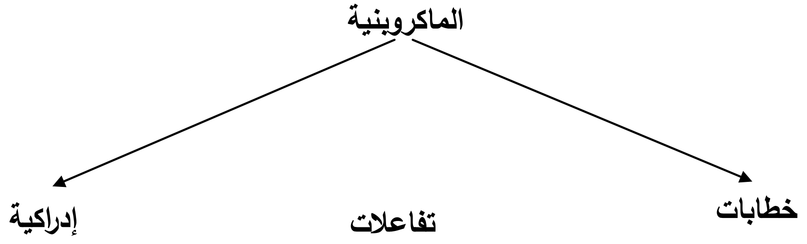

كــما يظهــر مــن خــلال مــا أســلفناه كيــف تتحــدد الماكروبنيــة مــن خــلال هــذه الأقطــاب الثلاثــة:

- الخطــاب: يســتعمل فــان دايــك النــص بمعنــى البنيــة التحتيــة المجــردة للخطــاب،

وعليه فالخطاب هو تصور قابل للملاحظة، في حين أن النص هو تصور نظري بحت (1977,Van Dijk)، لذا نجده يستعمل النص عندما يتحدث عن نحو النص، لأنه أراد له أن يكون دراسة شكلية (صورية)، ثم صار إلى استعمال مصطلح الخطاب حين تحول إلى دراسة المعنى وعلاقته بالمقام وبإدراكية مستعمل اللغة. فحين الحديث عن اللغة في الاستعمال وعن الجانب الإدراكي فإنه يتحدث عن الخطاب لا عن النص[3]. ويقصد في التعريف أن الماكروبنية هدفها دراسة دلالة الخطابات، أي ليس دراسة المستوى الشكلي للنص فقط كما كان عليه الأمر في نحو النص، ولا ما كان دراسته على مستوى أدنى كما تشتغل عليه الدراسات الدلالية (للجملة).

- **التفاعلات:** ويقصد بها الجانب التداولي، بما أن معرفة ما هو ملائم أو مهم في النص مما هو غير ذلك يعود إلى الجانب التداولي للتحليل، حيث تهتم دراسة التفاعلات اللفظية (اللغوية) بدراسة اشتراك المتلفظين في بناء المعنى، في الإطار الزماني والمكاني للمقام. وعليه، لا بد للمحلل أن لا يهمل أيًّا من هذه العناصر في دراسته، لأن عملية الفهم لا تقوم إلا بها.
- **الإدراكية:** وترجع إلى الجانب النفسي، فقد أشرنا إلى أن تحليل النص يكون في الذاكرة، وتعمل الذاكرة قصيرة المدى على تحليل الوحدات اللغوية في المستويات الدنيا للنص، من مفردات وجمل وسلاسل جملية بسيطة، إلا أن الذاكرة قصيرة المدى غير قادرة على تحليل المعلومات المعقدة، والربط بين المعلومات السابقة والحادثة، فهذا يتم تحليله في نوع آخر من الذاكرة. فوظيفة الماكروبنية تتعلق بالمعلومات المعقدة، في حين تختص الميكروبنية بالمعلومات البسيطة، ويُعرف التعقيد من عدمه بالحجم، فتدخل الجملة البسيطة في التحليل الميكروبنوي، في حين تدخل الفقرة مثلا، في الماكروبنية.

2. الخطوات الإجرائية لاستخراج الماكروبنية

سبق الإشارة إلى أن إعادة بناء النص في ذهن المتلفظ المشارك ليست عملية

عشوائية، بل نجد كثيرا من العناصر التي يتفق عليها المتلقون، لذا حاول فان دايك وكينتش أن يضبطا طريقة لاستخراج ماكروبنية النص من خلال قواعد، تسمح للمحلل باستخراج ماكروبنية النص، في محاولة إلى إيجاد قواعد مضاهية للقواعد النحوية للجملة، ووجه المشابهة بينهما هو في كون هذه القواعد صياغة لجهاز ضمني يملكه مستعملوا اللغة دون وعي.

من أجل التعرف على هذا الإجراء سننطلق من نص للمؤرخ المصري عبد الحميد العبادي، صدر في العدد السابع من مجلة الرسالة أخذتُ جزءا منه على سبيل التمثيل مما يسمح بتطبيق القواعد التي أشار إليها فان دايك.

[شاهد1]

1	1. كان أبو الحسن علي بن نافع مولى للخليفة المهدي العباسي، 2. ولسواد لونه، وحلاوة شمائله لقبوه بزرياب تشبيها له بطائر أسود غريد يعرف عندهم بهذا الاسم. 3. وقد تكاملت لزرياب كل أسباب النبوغ والتفوق موهوبها ومكسوبها، 4.فكان شديد الذكاء، 5. لطيف الحس 6. عارفا بالنجوم والجغرافية، 7. شاعراً فصيح اللسان، 8. غير أنه كان إلى الغناء أميل 9. وبه أشغف، 10. وقد درسه علماً في كتب الأقدمين من حكماء اليونان، وعملاً على أستاذه اسحق الموصلي زعيم المغنيين في ذلك الوقت، 11. ولشدة افتتان زرياب بالموسيقى كان تفكيره فيها لا يكاد ينقطع 12.حتى أنه ليلهم النوبة والصوت وهو نائم، فيهب من نومه مسرعاً، ويقيد ما وقع له أو يلقيه على جاريتيه غزلان وهنيدة، ثم يعود إلى مضجعه عجلا،

	13. ومـن ثـم قيـل انـه كان يأخـذ ألحانـه عـن الجـن كـما قيـل في إبراهيـم الموصـلي نفسـه. 14.قالوا وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها. 15.ولم يـأل زريـاب جهداً في أن يأخـذ نفسـه بـالأدب الرفيـع والسـلوك العـالي المصطلـح عليـه في البيئـة التـي كان يعيـش فيهـا ببغـداد، بيئـة البـلاط وقصـور الأمـراء ورؤسـاء الدولـة العباسـية.
2	16. ويذكـرون أن السـبب في هجـرة زريـاب مـن المـشرق إلى المغـرب، انـه غنـى يومـا في حـضرة هـارون الرشـيد، فأخـذ الخليفـة بصناعتـه وظرفـه وطلـب إلى اسـحق أن يعنـى بـه حتـى يفـرغ لسـماعه. 17. ولكـن اسـحق لم يلبـث أن تحركـت في صـدره عوامـل الغـيرة والحسـد والحقـد عـلى تلميـذه، 18.فخـلا بـه وخـيره بـين المـوت والحيـاة، بـين أن يقيـم ببغـداد فيعـرض حياتـه للهـلاك ومهجتـه للتلـف، وبـين أن يذهـب في أرض اللـه العريضـة فينجـو بحياتـه، 19. ووعـده إذا هـو اختـار ثـاني الأمريـن أن يعينـه عـلى الرحيـل بمـا شـاء مـن المـال، وغـير المـال. 20. فأختـار زريـاب الرحيـل عـن المـشرق بـأسره، ووفى لـه اسـحق بمـا وعـده مـن المعونـة.
3	21. وتذكره الرشيد بعد أن فرغ من شغله الذي كان منهمكاً فيه 22. وطلب إلى اسحق إحضاره 23. فقال:«ومـن لي بـه يـا أمـير المؤمنـين؟ ذاك غـلام مجنـون يزعـم أن الجـن تكلمـه وتطارحـه مـا يزهـي بـه مـن غنائـه، فـما يـرى في الدنيـا مـن يعدلـه، ومـا هـو إلا أن أبطـأت عليـه جائـزة أمـير المؤمنـين، وتـرك اسـتعادته، فقـدر التقصـير بـه والتهويـن لصناعتـه، فرحـل مغاضبـا ذاهبـا عـلى وجهـه مسـتخفياً عنـي، وقـد صنـع اللـه تعـالى في ذلـك لأمـير المؤمنـين فأنـه كان بـه لمـم يغشـاه ويفـرط خبطـه، فيفـزع مـن رآه». 24.يقـول المقـري «فسـكن الرشـيد إلى قـول اسـحق وقـال عـلى مـا كان بـه:فقـد فاتنـا منـه سرور كثـير».

4	25. خرج زرياب يؤم المغرب، 26. فلما كان بأفريقيا أتصل بصاحبها زيادة الله الأغلى. 27.ولكنه لم يطب له المقام بها فرحل عنها إلى المغرب الأقصى، 28.وهنا كتب إلى الحكم بن هشام، أمير الأندلس المعروف بحبه للموسيقى، يستأذنه في دخول الأندلس والصيرورة إليه، 29.فأذن له الأمير في كل ذلك من فوره. 30.وعبر زرياب البحر إلى عدوة الأندلس، 31.وبينما هو يتأهب للرحيل إلى قرطبة إذ سمع بوفاة الحكم 32. فهم أن يعود أدراجه إلى المغرب لولا أن كتب إليه الأمير الجديد، عبد الرحمن الأوسط، يستقدمه ويعده أن ينيله كل ما تصبو إليه نفسه من مال وجاه. 33. فقدم عليه زرياب، 34. ويروون أن عبد الرحمن احتفل لمقدمه أعظم احتفال، 35.إذ خرج بنفسه من قرطبة لتلقيه. 36. وما هو إلا أن سمع غناءه وحديثه حتى شغف به 37. فغمره بفضله وإنعامه 38. وأجرى عليه من الرواتب والأرزاق الشيء الكثير، 39. حتى لقد كان يركب وبين يديه مائة مملوك. 40. وقدمه الأمير على سائر المغنين 41. وبلغ من شدة شغفه به أن جعل في قصره باباً خاصاً يستدعيه منه كلما أحب سماع غناءه الرائع وحديثه العذب الطريف

5	42. وقد لقي زرياب النعمة بمثلها وجزى المعروف بالمعروف، 43. ولكنه قصد إلى ذلك من طريق غير مباشر، 44. قصد إليه من طريق النصح والإخلاص للأندلس التي أصبحت له وطناً، وأهل الأندلس الذين أصبحوا أهلا له ومعشراً. 45. فعكف على رفع مستوى الموسيقى الأندلسية 46. وعلى النهوض بالمجتمع الأندلسي حتى يداني المجتمع الشرقي ببغداد 47. وقد وفق فيما قصد إليه كل التوفيق.

كما تم تقريره في هذا البحث، فإن التوصل إلى الماكروبنية عملية غير واعية يقوم بها المتلفظ المشارك أثناء وبعد تلقيه للنص، حيث يقوم بإعادة تشكيله بطريقته، ولكن الباحثين الذين اشتغلوا على هذا المفهوم حاولوا تطوير خطوات إجرائية تحاكي النموذج الذهني للعملية التي يقوم بها المتلفظ المشارك بشكل غير واع أثناء تفاعله الخطابي مع النص.

وسأتناول هذه الإجراءات، في اختصار، مع تطبيقها على النص [شاهد1]. وقد جعلت النص [شاهد1] مقسما إلى جمل مرقمة حتى تسهل الإحالة إلى مواضعه عند التمثيل للخطوات. إلا أني لن أقوم بتحليل كل النص، ولكن أجزاء منه، على سبيل التمثيل لتتضح الخطوات الإجرائية التي سأتحدث عنها.

2. 1 مرحلة تحديد أساس النص:

استحدث اللساني المجري يانوس بيتوفي مصطلح أساس النص في مقال عنوانه: Generativity And Text-Grammar (التوليدية ونحو النص) (Petöfi، 1971)، ثم شهَّر استعماله فان دايك. وهو عند هذا الأخير: «تمثيل دلالي لمدخلات خطابية في الذاكرة العرَضية» (Van Dijk, et al., 1983, 11) ، وهذه المدخلات تتمثل في القضايا والروابط بين القضايا.

لأجل فهم أساس النص أشير إلى التفريق الذي يجعله كينتش بين مستويين في التحليل، في نموذجه[4]، وذلك على النحو الآتي :

أساس النص (Text-base): ويتعلق أساس النص بالتمثيل الذهني المستخرج من النص مباشرة، ويعني القضايا (المعلومات) التي توجد مصرحا بها في النص، وما يستنبط منها، أي تلك التي حذفت من الكلام، والتي لا يمكن فهم النص إلا بها، وهذان النوعان (القضايا المثبتة والمحذوفة) كلاهما يدخلان في مسمى «أساس النص الصريح»؛

إلا أن هناك جانبا كبيرا يقوم به المتلفظ المشارك لكي يبني معنى النص، سواء ما تعلق بالمعارف اللغوية، أو المعارف العامة؛ لذا لا بد للمتلفظ المشارك من استدعاء النموذج المقامي (Situational Model)، إذ إنه من أجل إعادة بناء النص لا يقف المتلفظ المشارك فقط عند المعارف المباشرة المحصورة بحدود النص، ولكن يستدعي عناصر من السياق المقامي، وكذا الإيماءات والإشارات والنبرات وغير ذلك ليفهم النص بشكل سليم.

وأساس النص، يعد القاعدة الدنيا في التحليل النصي عند الباحثَين، ولكن من أجل تحليله لا بد من التذكير بملاحظات منهجية (Kintsch, 2002):

- **أولا:** أن أساس النص يتكون من قضايا مثبتة في النص، وقضايا أخرى محذوفة، تفهم من النص، ولكي يكون النص منسجما يجب أن يضيف المحلل تلك القضايا المحذوفة، التي يتوقع من المتلفظ المشارك أنه يستنبطها عند تلقيه للنص. وهذه القضايا يحذفها المتلفظ لثقته في أن المتلفظ المشارك يمكنه أن يتفطن إليها بسهولة. يتعلق الأمر هنا بأساس النص الضمني أو المضمر أو المفترض. ويمكن أن نمثل من النص بالجمل الأولى فيه:

1. كان أبو الحسن علي بن نافع مولى للخليفة المهدي العباسي،

1. 1. زرياب لم يكن حرا

1. 2. الموالي يجعلون للخدمة أو للغناء

1. 3. الخلفاء والأمراء كانوا يملكون الكثير من الموالي

2. ولسواد لونه، وحلاوة شمائله لقبوه بزرياب تشبيها له بطائر أسود غريد

يعـرف عندهـم بهـذا الاسـم.

2. 1. طائر الزرياب له صوت جميل

2. 2. تغريد الطيور يشبه صوت الموسيقى

2. 3. سكان بغداد لم يكونوا سودا

2. 4. زرياب لم يكن أصله من بغداد

2. 5. زرياب كان مختلفا عن غيره

2. 6. كان حسن التعامل مع الناس

2. 7. يرجح أن زرياب كان محبوبا

3. وقد تكاملت لزرياب كل أسباب النبوغ والتفوق موهوبها ومكسوبها،

6. 1. كان زرياب متميزا عن أقرانه

6. 2. كان زرياب يجتهد في الدراسة

- **ثانيـا:** في الفـرق بـين الجملـة (النحويـة) والقضيـة (الدلاليـة)، فالقضيـة، كـما أشرت في أول هـذا البحـث، هـي غـير الجملـة وهـي غـير والملفـوظ، وإن كان يجمعهـا تقـارب في الاسـتعمال، مـا جـرّ بكثيريـن إلى الخلـط في اسـتعمالها، إمـا عـن سـوء فهـم لمـا اسـتعمله اللسـانيون الغربيـون، أو عـن عـدم تدقيـق في الاصطـلاح. وهـذا اللَّبـس في هـذه المصطلحـات ليـس محصـورا في الدراسـات التـي بالعربيـة، ولكنـه موجـود كذلـك حتـى في الدراسـات الغربيـة[5]، مـا دعـا كثـيرا مـن الباحثـين إلى التخـلي عـن هـذه المصطلحـات واسـتحداث أخـرى مكانهـا، لتجنـب حمولاتهـا المختلفـة وعـدم شـحنها بمفهـوم إضـافي آخـر يضـاف إلى دلالاتهـا التـي فيهـا. ومثـال ذلـك (Proposition) أو القضيـة التـي لهـا معنـى في علـم المنطـق، وآخـر في أنحـاء (جمـع نحـو) كثـير مـن اللغـات الأوربيـة، ومعنـى مغايـرٌ في الدلاليـات، وفي الدلاليـات النفسـانية هـو الـذي نقصـده هنـا.

والقضيـة في الدلاليـات هـي خطاطـة للمعنـى المجـرد عـن الجمـل، بحيـث تعـبر القضيـة الدلاليـة عـن المسـتوى الأسـاسي الأدنى لمـا يريـد المتلفـظ الإخبـار بـه، وبحيـث

يمكن الحكم على هذه المعلومة أنها صحيحة (صادقة) أو خاطئة (كاذبة). وفي الدلاليات النفسانية تعد المعلومات التي في المستوى السطحي للملفوظات (يدخل هنا ما يتعلق بدراسة : الجانب الصرفي للمفردات، والكلمات النحوية، وترتيب الكلمات) معلومات معالجة قبليا من قبل مستعمل اللغة، بمعنى أنه حين يقرأ أو يسمع ملفوظا ما، فإنه يستعين بمخزون إدراكي موجود في ذاكرته، من قبل، لكي يستطيع فهمه. ويحدد لو ني (Jean-François Le Ny) القرابة بين المعنى المنطقي والنفسي للقضية بقوله :

«تعرّف [القضية]، من وجهة نظر منطقية، أنها أصغر وحدة للخطاب يمكن أن نطبق عليها قيمة الصحة، بأن يحكم عليها أنها صحيحة أو خاطئة، ومن وجهة نظر نفسية، يتحول هذا التعريف إلى: أصغر وحدة دلالية مدمجة قابلة للمعالجة أو الحفظ» (Le Ny, 1987).

لا حاجة إلى الدخول في كل ما يتعلق بهذا المفهوم هنا، لأنه لا يعني بحثنا، لذا أكتفي فقط بالتذكير أن كل قضية تتشكل من محمول (Prédicat)، يتعلق لمفهوم الفرد والصنف، ومن موضوع (Argument) وهو يعبر عن مفهوم الملكية أو العلاقة (Denhiere, et al., 1992, 51). والمحمولات والموضوعات تعبر عن تصورات مجردة لا عن مفردات تستعمل في اللغة طبيعية، فـ :

(8) غير أنه كان إلى الغناء أميل

تصير

(8) مالَ (زرياب، غناء) أو بشكل أدق: أَحبَّ (زرياب، غناء)

بحيث (مال) أو (أحب) هو المحمول، و(زرياب) و(غناء) هما موضوعان. فـ«مال (زرياب، غناء)» قاعدة دلالية عميقة مشتركة بين عدة جمل تنتمي إلى نفس أسرة الجملة، فينتمي إلى هذه الأسرة جمل كثيرة، نحو : «يميل زرياب إلى الغناء» و«الغناء يميل إليه زرياب»، و«ربما زرياب يميل إلى الغناء»، «من يميل إلى الغناء هو زرياب»...الخ.

والهدف من استخدام نظام القضايا بدل الجمل الطبيعية، هو أن الدماغ يحتفظ

بمعاني الكلمات والجمل والنصوص، ولا يحتفظ بذاتها، وهو ما تسعى إلى أن تحاكيه الدراسات اللسانية الإدراكية، وهو ما حاول أن يقوم به المنطق الكلاسيكي الذي سعى إلى إيجاد تمثيل مجرد للتفكير المنطقي.

- **ثالثا:** التحليل الذي قمت به هنا، غرضه التبسيط، وإلا فإن استعمال جمل طبيعية (أعني الجمل التي تستعمل في اللغة الطبيعية)، يفتقد إلى الدقة، لأنه قد يختلط على المحلل الفصل بين المعلومات التي صُرح بها والتي حذفت؛ والغاية من استعمال قضايا دلالية في التحليل، أنه قد يلتبس في الجمل الطبيعية معلومات أصلها أن تكون قضايا مستنبطة (أي ضمنية). فالأصل تفكيك الميكرومعلومات الواردة في الجمل، بحيث تكون كل قضية تحمل ميكرومعلومة واحدة. ولكن، يمكن حساب قضايا النص باستعمال لغة طبيعية؛ بجمل عادية، وخاصة لأهداف تبسيطية وتعليمية (Brassart, 1990, 321). ولأجل هذا، سأواصل التحليل باستعمال جمل طبيعية، لكي لا أدخل في تفصيلات لا بد منها، واختيارات منهجية في تحويل الجمل إلى قضايا قد تصرف هذا البحث عن مقصده، على أن أخصص في هذا الموضوع بحثا مستقلا. فإذا أخذنا الجملة (2) مثلا:

2. ولسواد لونه، وحلاوة شمائله لقبوه بزرياب تشبيها له بطائرأسود غريد يعرف عندهم بهذا الاسم.

فإنه إذا أردنا أن نفكك الميكرومعلومات الواردة في هذه الجملة لنردها إلى قضايا دلالية، فالأصل أن تصير:

1. زرياب أسود اللون
2. زرياب حلو الشمائل
3. زرياب اسم طائر أسود
4. زرياب اسم طائر كثير التغريد
4. لقب الناس أبا الحسن بزرياب لأن (1) و(2) و(3) و(4)

ثم نضيف إليها القضايا المحذوفة، وهذا بدوره على سبيل التبسيط كذلك، وإلا فالأولى تحويل هذه الجمل إلى محمولات وموضوعات، كما أشرت، لتجريد المعنى إلى أكبر حد. لكن سأكتفي هنا بهذه الطريقة التبسيطية وأترك التحليل بشكل أدق لبحوث لاحقة، أفصل فيها حالات قد تعترض التحليل.

- **رابعا:** يتعامل المحلل مع القضايا المحذوفة كما يتعامل مع المثبتة، دون تفرقة في المنزلة، فقد نثبت في الماكروبنية قضية حذفها المتلفظ ونهمل قضية أثبتها، لأن هذا راجع إلى البناء الذي يجعله المتلفظ المشارك في دماغه. إذ كان حذف المتلفظ لقضية ما اعتمادا على فهم مشاركه، إلا أنه قد لا يستقيم فهم النص دون إعادتها إلى البناء النصي، كأن يحذف طورا من أطوار السرد إذا كان النص قصة مثلا. وهذا، مع أن القضايا الضمنية لا يمكن تحديدها بطريقة قاطعة، بل هي راجعة إلى المحلل، فليس هناك قاعدة مطلقة في تفصيل كل المعلومات التي حذفت؛

فإذا طبقنا هذا على كل النص، نحصل على قائمة من القضايا جاءت مصرحا بها في النص، وهو ما يسمى أساس النص غير الكامل، ونضيف إليها ما تم حذفه مما يستنبط من معنى النص. يسمي فان دايك ما أثبت من أساس النص وما حذف منه جميعا «أساس نص صريح»[6]، وذلك في مقابل ما يتعلق بوسائل التواصل الأخرى كالإيماءات وتفعيل المقام وغيرها.

بعد أن ينتهي المحلل من استخراج أساس النص الصريح، بحساب قضايا النص المثبتة فيه والمضمرة، تأتي المرحلة الثانية، وهي المرحلة الأشهر في التحليل، فكثيرا ما يحال إليها حين يذكر مفهوم الماكروبنية، وهي مرحلة الماكروقواعد.

2.2 مرحلة التحويل

إذا تقرر أن تذكّر النصوص يختلف من متلق إلى آخر، فالأحداث المرتبطة بالشخصيات الرئيسية قد يعتبرها متلق ما ذات أهمية ويتذكرها بشكل أفضل من غيره ممن يرى خلاف ذلك، وكذا ما يرجع إلى قدرات الفهم، وإلى الاهتمامات التي

يواجهها القارئ في النص الذي أمامه، كلها يختلف تذكرها، بسبب الاختزال الذي يقوم به القارئ حين قراءته، إذ يقوم بحذف ما لا يرى فيه أهمية بالمقارنة مع ما يرى فيه غير ذلك، لذا فبناء النص يحدث في ذهنه لا في النص بحدّ ذاته. وكل هذا راجع إلى مبدأ الملاءمة (Relevence).

ويحول المتلفظ المشارك الملفوظات التي يسمعها أو يقرؤها إلى نص جديد في دماغه اعتمادا على ذاكرته، وهذا ما تحاول الماكروقواعد محاكاته، لذا يدعو شارول (Michel Charolles) هذه القواعد بـ»ماكروقواعد التحويل» (Macro-règles de transformation) (Charolles, 1976). فهي تسمح باستخراج أو بناء قضية ماكروبنوية من أساس نصي لمتوالية من الجمل. كما يشير إلى أن هذه القواعد قابلة للتكرار أو المعاودة، أي في الإمكان تطبيقها عدة مرات ابتداء من أساس النص، فيمكن أن نطبقها على متوالية ما، وما نتج عنها يمكن أن نطبق عليه هذه القواعد مرة أخرى، وهو يرى أن هذه المعاودة ليس لها حد نظريا، إلا أنها محدودة عند التطبيق بقيود الحفاظ على الدلالة، يقول :

«نسمي ماكروبنية المتوالية (أو ماكروبنية النص) القضية (أو تتابع قضايا) الناتجة حين لا يمكن أن نطبق الماكروقاعدة مرة أخرى» (Charolles, 1976, 148).

وتتمثل «الماكروقواعد» التي اقترحها فان دايك فيما يأتي (Van Dijk, 1980, 46 - 51):

1. قاعدة الحذف: حيث تحذف من أساس النص الجمل (القضايا) التي لا تُهم في تأويل جمل أخرى من هذا النص، أو لا تشير إلى حقيقة كلية فيه، ويمكن أن نطبق قاعدة الحذف على (27) و(28) :

26. فلما كان بأفريقيا أتصل بصاحبها زيادة الله الأغلى.

1. وصل زرياب إلى أفريقيا،

1. 1. افريقيا اسم لبلاد تشمل شمال تونس وشرق الجزائر وغرب ليبيا عاصمتها القيروان،

2. اتصل زرياب بأميرها زيادة الله الأغلى.

2. 1. استعان زرياب بواسطة مقربين من الأمير

2. 2. اعتمد زرياب على منصبه السابق في بغداد

2. 3. أراد أن يكون من مقربي الأمير،

27. ولكنه لم يطب له المقام بها فرحل عنها إلى المغرب الأقصى،

1. لم يعجب زرياب المقام بإفريقيا،

1. 1. استقر بتونس مدة قصيرة،

1. 2. لم يعجبه استقبال زيادة الله الأغلى،

1. 3. لم يعرض عليه منصبا في البلاط،

2. رحل زرياب إلى المغرب الأقصى،

2. 1. لم يسافر وحده،

2. 2. طال السفر أياما،

فكلا الجملتين تحذفان مع القضايا المستنبطة التي تضمنت فيها، لأن توقف زرياب بتونس لن يكون له تأثير كبير ومباشر على باقي الأحداث، والتي من أجلها روى العبيدي قصته. كما أن حذف هذه القضايا من النص لن يؤثر في تتابع أحداث النص، ولا في معنى النص العام، ويستوي في هذا القضايا المثبتة والمضمنة.

كما يشير فان دايك إلى أن هذه القاعدة قاعدة سَلبية، فهي لا تشير إلى الجمل التي يجب اعتمادها في تكوين ماكروبنية النص، لكن على عكس ذلك، تشير إلى الجمل التي يجب أن تحذف، لذا يشير إلى تسمية أخرى (أو إلى إجراء آخر) لنفس القاعدة أكثر إيجابية، يدعوها «قاعدة الانتقاء» والتي تنتقي من أساس النص القضايا التي هي شرط في تأويل الجمل الأخرى في النص.

2. قاعدة التعميم: يقوم المحلل باستخراج «قضية» أعمّ دلاليا من مجموعة «قضايا» تعتورِها تفصيلات كثيرة وتوسيع في الشرح، مما يراه غير ضروري. فنجد أحيانا جملا تدل على حقائق (Facts) تُعد شروطا أو مكونات أو نتائج لحقائق

أخرى تدل عليها جمل من أساس النص. ففي الجملة (10) :

10. وقد درسه علماً في كتب الأقدمين من حكماء اليونان، وعملاً على أستاذه اسحاق الموصلي زعيم المغنيين في ذلك الوقت،

1. درس زرياب الموسيقى من الكتب،

1. 1. كان زرياب مجتهدا في التعلم

1. 2. كان زرياب مختصا يقرأ من كتب الأصول

2. تمرن زرياب على يد إسحاق الموصلي،

2. 1. كان زرياب كثير التدرب على الغناء والموسيقى

3. إسحاق الموصلي أستاذ زرياب

3. 1. لاهتمامه بالموسيقى تعلم عند أفضل من وجد

4. إسحاق الموصلي زعيم المعنيين

4. 1. الكل يعترف لإسحاق أنه أفضل الموسيقيين

فيمكن للمحلل أن يعمم ما جاء في هذه الجملة، بأن يقول أن: «زرياب كان يجتهد في تعلم الغناء».

وفي كل من القاعدتين. أي: الحذف والتعميم.تحذف معلومات غير متعلقة بالماكروبنية، إلا أننا في القاعدة الأولى نتخلص من قضايا بأكملها نراها غير مناسبة في تأويل النص والتي لا يقوم عليها تأويل الجمل الأخرى، أما في الثانية فنحتفظ بالمعلومات التي وردت فيها عن طريق تلخيصها.

3. قاعدة البناء: يتم في هذه القاعدة أخذ قضايا ودمجها معا، على أنها متوالية متكونة من مجموعة من القضايا تدل على حقيقة كلية تجمعها، وإن لم يوجد في نص [شاهد1] مثالٌ صريح على هذه القاعدة، فالأصل أننا نستعمل قاعدة الصفر على جملتين (قضيتين)، إلا أنه يتأتى تطبيقها مع قواعد أخرى (كالحذف والتعميم) على سبيل التوسع. كما أن الحاجة إلى استعمال هذه القاعدة أقل من السابقتين، خاصة بعد أن أدخل فان دايك وكينتش منهجيةً اعتمادا نظام القضايا والقضايا

الضمنية في أساس النص، لذا فأكثر ما يمكن أن تقع عليه هذه القاعدة إنما يكون في أكثره على قضيتين في الغالب.

4. **قاعدة الصفر:** نحفتظ هنا على القضايا كما هي عليه، بجعلها مباشرة في المستوى الأكبر. وهذا حين تكون الجملة ملخصة بنفسها للماكروبنية.

1. كان أبو الحسن علي بن نافع مولى للخليفة المهدي العباسي،

فهذه الجملة مما يلائم تركها كما هي، فلا حاجة لنا هنا أن نحذف أو نعمم أي شيء من هذه الجملة، إذ كل ما جاء فيها مفيد.

5. **قاعدة التأويل:** إضافة إلى القواعد الأربعة، يضيف فان دايك هذه القاعدة حين تحليله لـ:*Tiger by the Tail* لجيمس هادلي تْشَيز (James Hadley Chase). وهذه القاعدة تتعلق بتأويل أفعال الأشخاص، في السرد مثلا، على أنها دلالة على تعبيرات على خاصية كلية.

من خلال ما سبق نستنتج أن تحليل الماكروبنية (أو الماكروتحليل) يتناول عدة مستويات: وذلك انطلاقا من تحديد المحتوى الدلالي المصرح به (غير المكتمل) وما ضمن معناه، ومن أجل ذلك نقوم بحذف المعلومات غير المهمة، وتعميم وبناء أحداث كلية. ولكن في نفس الوقت نقوم باستدلالات على خلفيات الأحداث، والشخصيات المشاركة في هذه الأحداث. فبهذا قواعد تحليل الماكروأبنية لا تقوم فقط على الحذف لما ليس مُهما ولكن أيضا على بناء معلومات جديدة وكلية، وهنا نجد أنفسنا أمام إشكال آخر، إذ إن محاولة فان دايك في إيجاد قواعد دقيقة لاستخراج ماكروقضايا النص يصطدم أمام استعدادات المتلفظ المشارك (أو المحلل)، بحيث يرجع إليه تحديد ما يجب أن يثبت أو يحذف، وما يرجع إلى ما لم يصرح به.

2. 3 مرحلة التصنيف:

عندما يعيد المتلفظ المشارك نصا ما سمعه أو قرأه، فإنه غالبا ما يعيد ترتيبه في ذهنه، لذا فهو حين يسترجعه قد يأتي بترتيب مخالف للترتيب الذي جاءت

عليه المكونات الخطابية للنص الأصلي. فعندما يتلقى قصة اعتمد فيها صاحبها بناءً سرديا مبتكرا، بحيث رتب أحداثها ترتيبا غير كرونولوجي مثلا، فغالبا ما يعيد المتلفظ المشارك ترتيب أحداثها دون مراعاة الترتيب الذي جاءت عليه، بحيث يعيد الأحداث إلى ترتيبها الكرونولوجي. وهذه الظاهرة مردها إلى البنية الفوقية (Superstructure) للنصوص، وتعني أن النصوص في دماغ مستعملي اللغة لها بنية مجردة تحكم ترتيبها، مثلها مثل بنية الجملة التي جعل لها تشومسكي بنية سطحية وعميقة، فالبنية الفوقية هنا تمثل البنية العميقة للنص. لأجل هذا، فمهما يغيّر المتلفظ من ترتيب أحداث النص، فإن المتلفظ المشارك يعيد بناء النص، فيملأ الفراغات غير المذكورة، ويهمل ما لا يراه مهما منه، ويعيد ترتيبه إن احتاج إلى ذلك.

وترجع البنية الفوقية إلى مفهوم الخطاطة (Schema)، حيث أن كل نوع من أنواع الأبنية الفوقية تتشكل على صورة خطاطة مجردة، ويؤكد فان دايك على كون هذه الخطاطات متّفقا عليها بين مستعملي اللغة، ومعروفة لديهم. ويمثل على ذلك بالسرد، الذي يتجسد في القصص، وكذا في الروايات والأخبار والآثار والسير والخرافات والأساطير وغيرها، «إلا أن خطاطة السرد، أو بنيته الفوقية، ليست هي نفسها القصة، فالقصة : هي الخطاب الذي يعبر عن ماكروبنية ما، والذي تنظمه خطاطة السرد» (Van Dijk, 1980, 109). يعني هذا أن كل نص ينتمي إلى نظام تواضعي (عرفي)، ليس فقط في محتواه (موضوعه) أو في وظائفَ تداوليةٍ اجتماعية، بل كذلك، في هياكل لنظام كلي يظهر في النص نفسه.

وقد درس فان دايك أنواعا من النص منها السرد والحجاج، كما أشار إلى أصناف خطابات أخرى أضْفَت طابعا مؤسساتيا على البنية الفوقية، كالمقالات العلمية، والوثائق القانونية، والطقوس الكنسية، والإجراءات المَحكمية، والامتحانات، والمحاضرات. و يشير كذلك إلى الخطابات التي أشكالها ثابتة نسبيا، كالقصائد، والرسائل الخاصة... (Van Dijk, 1980, 110).

وبالرجوع إلى نص [شاهد1] نجده يروي أحداثا جرت للمغني زرياب، لذا فالترتيب الذي قام عليه النص يرجع إلى خطاطة السرد، ولم يخرج فيه العبادي عن الترتيب الكرونولوجي، فترتيب أطوار السرد في النص جاءت مطابقة لترتيب الأحداث زمنيا كما في الواقع، كما نجد أن النص توفر على كل عناصر السرد التي أشار إليها لابوف (William Labove) ووالاتسكي (Joshua Waletzky) في (Labov, et al., 1967) حيث درسا حوارات لأشخاص عاديين يروون أحداثا وقعت لهم، ووجدوا أن الروايات التي كانوا يروونها لا تخرج عن خمسة أطوار، وقد كان لعملهما تأثير على كل الأعمال التي جاءت بعدهما، وإن وجدت محاولات كثيرة لتعديل خطاطتهما أو اقتراح نموذج جديد، إلا أن كثيرا من الدراسات ما زالت تعتمد نتائجهما في أطوار السرد، ولم يخالف عنهم فان دايك. ويمكن إرجاع النص الذي بين أيدينا إلى أطوار السرد كما يأتي:

التوجيه (**Orientation**)	شعبية زرياب في قصر الخليفة، وتفوقه في الموسيقى وبروزه بين أقرانه.
التعقيد (**Complication**)	غيرة إسحاق من زرياب، وتهديده بالقتل إن لم يغادر البلاد.
التقييم (**Evaluation**)	خروج زرياب إلى جهة المغرب واتصاله بأمراء البلدان.
الحل (**Resolution**)	استقبال أمير الأندلس له وإكرامه إياه.
الخاتمة (**Coda**)	انسجام زرياب مع أهل الأندلسي، ونهوضه بالموسيقى الأندلسية، وبالمجتمع الأندلسي.

وما يميز مفهوم البنية الفوقية، كما طوره فان دايك، عن محاولات تصنيفات النصوص الأخرى، التي سعت إلى إيجاد أطوار كل نوع من أنواع النصوص، هو النموذج الإدراكي لهذه النظرية، حيث تقوم بدراسة النص الذي يقوم مستعملو اللغة بتمثيله في الدماغ، بدلا من دراسة النص الموجود فعليا، فتتبع كلمات وجمل النص قد يعقد من عملية التحليل، لأن النصوص كما هي في الاستعمال، لا يمكن أن تنضبط تحت أي ترتيب أو تنظيم. لذا فهذا النموذج تبسيطي من هذا الباب، من حيث إنه يرد ذلك التعقيد في التحليل إلى خطاطة بسيطة، فإننا ولو انطلقنا

من دلالة السلاسل الجملية، دون حذف للقضايا التي لا تدخل في الماكروبنية، ودون إعادة ترتيب الأفكار في النص، قد يحدث هذا كثيرا من الصعوبات في التحليل. فلو رجعنا إلى الجمل من (26) إلى (34) على سبيل المثال، نجد تعقيدات على النحو الآتي :

تقييم1	خروج زرياب واتصاله بصاحب إفريقيا.
حل1	لم تعجب زرياب إقامته بإفريقيا.
تقييم2	اتصال زرياب بالحكم بن هشام أمير الأندلس.
حل2	موافقة الحكم لقدوم زرياب.
تعقيد3	وفاة الحكم، وتأهب زرياب للعودة إلى المغرب.
تقييم3	مراسلة الأمير الجديد له.
حل3	استقبال الأمير الجديد لزرياب، وإكرامه له.

وهذا التعقيد قد يتضاعف في النصوص الأكثر طولا، والتي تتضمن استطرادات(؟) وتضمينات كثيرة.

كما أنه لا بد من أخذ مفهوم البنية الفوقية في إطارها النظري العام الذي تنتمي إليه، وهو الماكروبنية، وإلا فسنفقد غايتنا من التبسيط الذي قصدت له أول مرة حين اللجوء إلى إعادة تنظيم النص في خطاطة يكون تشكيلها معروفا مسبقا لدى مستعملي اللغة، فتصير خطاطات النصوص متشعبة ومختلفة جدا، وغير منتظمة.

إلا أن مفهوم البنية الفوقية يفتقد إلى الدقة في تحديده، فهو يعني شيئين اثنين:

(1) الخطاطة المعرفية لنصوص مثل السرد والحجاج، بحيث يكون لها ترتيب يرجع إلى ملكة بشرية تسمح بتمييزها وبإعادة إنتاجها.

(2) ويعني كذلك، الترتيب الشكلي الموجود في النصوص التي لها طابع مؤسساتي كالوثائق الإدارية، ووصفات الطعام، وغيرها.

ولا شك أن هذين النوعين مختلفين من حيث أن طريقة الوصول إليهما ليست نفسها:

- فالأول ضمني في النص لا بد من استنباطه، وهو، بحسب فان دايك

وكينتش، إدراكي؛

- أما النوع الثاني فالتعرف إليه يقوم على الملاحظة، كما أن طبيعته اجتماعية، ويكون تعلمه في مراحل لاحقة في وضعيات تعلمية أو مهنية. لذا رأى جان-ميشال آدم أن يدعو هذا النوع الثاني من البنية الفوقية: مخطط النص (Adam, 2015, 115).

2. 4 محدودية هذه الإجراءات

يمكن من خلال الخطوات السابقة أن يستخرج المحلل ماكروبنية النص، إلا أن هذا لا يجعل من النتيجة المتوصل إليها ثابتة لا يجوز الخروج عنها، فهذه الخطوات محاولة لمحاكاة ما يقوم به المتلفظ المشارك حين يعيد بناء النص عندما يقوم بفهمه. وقد أشرت إلى أن عملية إعادة البناء تختلف من شخص إلى آخر، لذا فلا يمكن إيجاد قواعد مطلقة للتحليل، ويمكن أن أشير إلى بعض الملاحظات المتعلقة بهذه الخطوات:

- لما لم تكن هذه الخطوات قواعد رياضية دقيقة بحيث أن تطبيقها يضمن نتيجة واحدة، بل معرفة ما يدخل في الماكروقضايا يرجع إلى اهتمامات المتلفظ المشارك وفهمه، فيترتب عليه أن وظيفتها تكون في وصف الماكروبنية أكثر من استنتاجها، فيعلل بها المحلل فهم المتلقي للنص، أو تلخيصه له؛
- الماكروقواعد التي أشرت إليها تعد قواعد اختزالية، أي أنه يمكن إعادة تفعيل هذه القواعد على ما نتج منها مرة أخرى، إلى الوصول إلى الماكروبنية النواة، وهذه هي التي تمثل موضوع النص، ويمكن صياغتها في شكل فكرة عامة للنص ؛
- أن هذه القواعد قواعد انتقالية تسمح لنا بالانتقال من وحدة محلية جزئية إلى وحدة كلية ماكروبنوية؛
- أنها تصف التمثيل الذهني، وكيف تم الانتقال من النص الأصلي الذي يقرؤه التلميذ، إلى النص المسترجع حين يسأل ما فهم من النص؛

- في كثير من الأحيان، يستدعي الأمر إعمال أكثر من قاعدة في الحالة الواحدة، فنفعل قاعدة الحذف والتعميم والتأويل مثلا في نفس الوقت، ويصعب أن يخلص الأمر لواحدة من هذه القواعد دون غيرها، إلا أننا في هذا التحليل، سلطنا الضوء على أظهرها في كل مرة.

3. الجانب الإدراكي

من المسلّم به اليوم، عند اللسانيين والمحللين، أنه لا يمكن ضبط التعقيد الذي يميز النصوص بقواعد شكلية تنتظم تحتها كل استعمالات المتكلمين[7]. كما أنه لا يمكن لأي نموذج شكلي أن يستوعب كل ما يحمله النص، وما ذلك إلا لأن فهم النصوص يعتمد في جوهره على عدة عناصر منها ما هو داخلٌ في النص ومنها ما هو خارج عنه، بحيث أن المؤول يأخذ منها ما يراه ملائما للوصول إلى المعنى. وما يعده المؤول ملائما لا يمكن ضبطه بقواعد شكلية تصدق على كل النصوص.

لذا، فتحليل أي نص عبر الإجراءات التي أشرت إليها في هذا البحث دون مراعاة الجانب الإدراكي-النفسي، ودون مراعاة الإنتاجات التلفظية في الاستعمال وعلاقاتها مع التفاعلات الخارجية عن اللغة؛ لن يسمح بأن يعطي للنص حقه.

والجانب الإدراكي في نموذج فان دايك، لم يكن أصيلا فيه، بل أضافه إليه لاحقا، وذلك لما توجه لدراسة الجوانب النفسية للفهم، فقد كان انشغاله أول الأمر بنحو النص، وكيف يمكن توسيع النظرية التوليدية التحويلية لتصف النص، ولكنه سرعان ما تفطن إلى محدودية الدراسات التوسيعية والدراسات الشكلية، فحاول أن يَعدل عن مسار نظريته والمفاهيم التي كان يشتغل عليها، فبدلا من الاعتماد على قواعد شكلية لوصف الظواهر النصية، صار وصفه لهذه الظواهر من خلال النماذج الذهنية، مستفيدا من الدراسات في اللسانيات النفسية والدراسات النفسية-الإدراكية، واشترك في هذا مع والتر كينتش (Walter Kintsch)، المتخصص في علم النفس، في عدة كتب ومقالات أكاديمية.

هذا التحول المشاهد في دراسات فان دايك لم ينحصر على هذا المفهوم فقط،

ولكنه شمل كل فكره، فحاول توسيع نموذجه ليعم كل ما يتعلق بالدراسات اللغوية: كالدلاليات، والدلاليات الإحالية، والتداولية، والسيمياء، وما هو خارج عنها مما يدخل في دراسة جوانب من الخطاب كعلم النفس، ولكنه لم يتوقف هنا بل سعى في بحوثه المتأخرة إلى إدماج علوم أخرى كعلم الاجتماع والإدراكية الاجتماعية والأيديولوجيا والأنثروبولوجيا وغيرها.

لن يسع هذا البحث التفصيل في الجانب الإدراكي لهذا المفهوم، ولكن سأكتفي بالتذكير باختصار بأهم ما يتعلق بهذا الجانب، مما سبق وأن أشرت إليه في ثنايا هذا البحث، مرجئا مسائل أخرى، والتفصيلات وكذا الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية إلى مجال آخر.

أولا: مما أشرت إليه سابقا، ما يتعلق بالتمثيلات الذهنية للنص في دماغ المتلفظ والمتلفظ المشارك، وذلك أنه إذا شاهد شخص ما أحداثا وقعت، مشاهدة عيان، فإنه يبني في ذهنه تمثيلا لتلك الأحداث، ثم إنه إذا حدّث بها، فإنه لا يروي الأحداث التي شاهدها كما وقعت، وإنما يروي تأويله لتلك الأحداث، من وجهة نظره، وهذا ما يفسر اختلاف الروايات للمشهد الواحد، فالتمثيلات التي يبنيها الناس في أذهانهم تختلف من شخص لآخر، وهذا يرجع إلى اعتقادات الشخص وقناعاته وتوقعاته والمبررات التي يفترضها، وكذلك هو الأمر بالنسبة لمن يقرأ تلك الأحداث أو يسمع عنها، فإنه إذا أعاد روايتها فإنه لا يعيد رواية الملفوظات التي سمعها أو قرأها، وإنما يروي تأويله الشخصي لها، وهذا الذي يفسر الاختلافات في الفهم، فهو متعلق بإعادة بناء النص عند المتلقين، لذا فنموذج فان دايك وكينتش قائم على التمثيل الذهني للأحداث أو النص، لا على الأحداث المشاهدة (التي نقلها النص)، ولا على ملفوظات النص. وتمثل ماكروبنية النص هذا التمثل الذهني للنص الذي يبنيه المشاركون في العملية التلفظية، ورأينا أيضا، كيف أثر هذا التوجه في مقاربة هذا النموذج لأنواع النصوص، وكيف يرجع شكلها إلى خطاطات بسيطة، يمكن إسقاط أكثر النصوص عليها؛

يرجع دُنِيار (G. Denhiere) وبودي (S. Baudet) الهدف من النموذج الذي استحدثه فان دايك وكنيتش إلى (Denhiere, et al., 1992, 129):

أ- تقديم تصور لتمثيل العالم الذي بناه المتعلمون من خلال تجاربهم وتعلماتهم، والذي يفعّلونه حين قراءتهم لنص ما؛

ب- توفّر مجال مرجعي (Référentiel) للتعبيرات اللغوية، فالمرجع للتعبير اللغوي ليس هو العالم الحقيقي، ولكن مرجع ذهني: أي نموذج.

وتعدّ النماذج في الدلاليات الصورية بناءات تستعمل لتشكل قواعد لتأويل اللغة. فالنماذج تعد كإعادة بناء مجرّد للعالم والعوالم الممكنة في الذاكرة.

ثانيا :كثيرا ما يرتبط فهم نص ما بقدرة المتلقي على استحضار ما جاء فيه وإعادة بناء معناه. وهذا ما يكشف عن وظيفة الذاكرة في التعرف على الماكروبنية في تحليل اللغة، ويجعل المختصون للذاكرة أنواعا، بحيث أن كل نوع يشتغل بطريقة مختلفة على جانب ما، وإن كان لا يزال كثير من الغموض يغطي طريقة عمل الذاكرة، والحدود التي بين هذه الأنواع، فحتى أننا نلمس خلافا بين فان دايك وكينتش في بعض هذه الفروقات. وأشير هنا إلى قسمين أتى بهما تولفين (EndelTulving) في (Tulving, 1972) ، الأول دعاه الذاكرة العرضية، وهي تسجل تجارب شخصية في سياق معين؛ والآخر ذاكرة دلالية، وهي تسجل معارف عامة ومجردة، والذاكرة الدلالية بدورها لها أنواع، في مقدمتها الذاكرة التي تقوم بحفظ معلومة معينة (زيد أصلع)، والذاكرة التي تحفظ حقائق عامة. وفي النموذج السياقي، الذي يعد امتدادا للنموذج المقامي، يرى فان دايك أن الذاكرة قصيرة المدى لها وظيفة تتعلق بفك تشفير الأصوات وتحليل الجمل تركيبيا ودلاليا وتداوليا، ويرجع القيام بعمليات أكثر تعقيدا وأكبر حجما إلى الذاكرة العرضية (Episodic memory)، التي هي جزء من الذاكرة الطويلة المدى، فتقوم بتحليل مواضيع القضايا الماكروبنوية، والبنية الفوقية (تحديد كون النص قصة، أو حجاجا..الخ)، والماكروفعل كلامي، المعلومات السياقية، وغيرها. ووعينا بهذه الذاكرة

العرضية يكون أقل، على أن تكون متاحة ويمكن تفعيلها بمجرد أن تستدعيها الذاكرة القصيرة المدى. غير أنه يعترف أن هذا الجانب من نظريته غير مكتمل إذ ليس هناك وصف دقيق لطريقة التخزين في الذاكرة العرضية ولا طريقة الاستدعاء وعدة عناصر فيما يتعلق بها (Van Dijk, 1980, 393).

الذي يضع الحدود بين المستوى الميكرو والماكروبنوي إنما هو الإجراء المعرفي، إذ يعمل على التفريق بين المعلومات المعقدة وغير المعقدة، بالإضافة إلى اعتماد خصائص اجتماعية للاستعمال اللغوي. أما عن حد هذا التعقيد فيقول فان دايك:

«نَسِم معلومة ما أنها معقدة بمجرد أن تتجاوز قدرة الذاكرة القصيرة على التخزين والمعالجة : فالكلمة، والعبارة، والجملة والحدث البسيط والغرض المفرد... الخ يمكن أن تُؤوَّل جميعها على أساس الخصائص البنوية التي يمكن للذاكرة قصيرة المدى أن تقوم بها، أما المعلومات المعقدة فيصير من الضروري إضافة تنظيمات وتمثيلات في الذاكرة طويلة المدى.» (Van Dijk, 1980, 12).

وما يميز النموذج المقامي عن سائر النماذج المعرفية النفسية الأخرى هو معالجته للنص بدل التوقف عند الجملة[8].

ثالثا: فإذا تساءلنا : متى يبدأ هذا التمثيل الذهني للنص؟ وكيف يكون هذا التحليل في الذاكرة؟ فقد كان الافتراض الأول الذي سار عليه فان دايك وكينتش في أول أمرهما الاعتماد على مبدأ الدورات في التحليل، بحيث أن هذه الدورة تقاس بسعة تخزين الذاكرة قصيرة المدى، فكل جملة أو سلسلة جملية قصيرة تعد دورة، ومع كل دورة يقدم المتلفظ المشارك توقعات لمعنى النص العام، ومن الانتقادات التي وجهت لهذا النموذج هو **الطبيعة الخطية للتحليل** التي ينتهجها، فنموذج ينتظر الجملة أن تنتهي ليحدد معناها يخالف ما توصلت إليه الدراسات الإدراكية من أن هناك «انسجاما داخليا»، عن طريق بناء تصور للمعنى العام لموضوع النص، حتى قبل انتهاء تلقي الجملة، هذا ما دعا المؤلفَين في كتابهما المنشور في (1983) أن يجعلا نموذجهما أكثر استراتيجية وديناميكية، فحاولا في النموذج المعدل

التعرف على الانسجام فور ما يمكن ذلك، بدلا من انتظار حدود الجملة، لأن المتلفظ المشارك لا يحتاج إلى أن يستقبل كل الكلام حتى يبني تصوره للمعنى، بل يقوم بذلك منذ مراحل متقدمة جدا. إلا أن نموذجهما احتفظ بالطبيعة الخطية نسبيا، ولكن تصور الدورة تطور، حيث تقلص من جملة أو أكبر إلى كلمات.

رابعا: لا يقف الأمر عند الكلمات الأولى من النص، فإنه لما كانت معرفة الموضوع الذي يتناوله النص أول ما يبنيه السامع أو القارئ في دماغه للوصول إلى فهم رسالة المرسِل، فإن المتلقي يحاول أن يتعرف على المعنى العام للنص حتى قبل بدايته، لأن عملية تلقي باقي النص غالبا ما تقوم على التقدير المسبق لموضوع النص الذي أنشأه اعتمادا على جميع الخلفيات التي وقع عليها، فهي تعود إلى السياق المقامي، فالخطاب الذي يكون داخل قسم في المدرسة غيره الذي يكون بين صديقين في مقهى، فمن خلال المكان الذي يجري فيه التواصل يبدأ بناء التمثل الذهني للنص الذي سوف يقال، فيحدد الجنس الخطابي الذي ينتمي إليه النص، ونوع الأسلوب، وما إلى ذلك. وكما أن وسيلة التلقي تساعد على التقدير المسبق لمعنى النص، فقراءة موسوعة علمية تستدعي بناء هو غير البناء الذي تستدعيه جريدة أو كتاب أطفال، كما أنه يمكن للمتلفظ المشارك أن يتوقع موضوع النص من خلاله هو عنوان النص، وكل هذا قبل أن يبدأ سماع النص أو قراءته. ثم بعد كل ذلك ينطلق في توجيه وتعديل افتراضاته متدرجا مع ما يلاقيه في النص منذ الجمل(ة) الأولى منه، بحيث يؤسس فهمه بحسبها. ولأجل هذا، استبدل فان دايك الماكروعمليات بمفهوم جديد دعاه ماكرواستراتيجيات، وهو يسمح للمتلقي بطرح فرضيات وتوقعات تتناول معنى النص منذ المراحل الأولى لتلقيه. هذا التوقع الأولي والمسبق لمعنى النص، يعني الاعتراف أن المتلفظ المشارك قد يخطئ في معنى النص، وهذا جانب مهم ومميز لهذا النموذج، إذ يعترف بالخطأ في التأويل ويبني عليه، فيقوم المتلفظ المشارك بتعديل تصوره لمعنى النص، وتصحيح ما أخطأ فيه مع توالي مكونات الخطاب.

خامسا: صار من المتداول اليوم أن النص يبلّغ أكثر مما يقول، خاصة بعد غرايس (Paul Grice) في (Grice, 1968) في الجانب التداولي، فحين يقوم المتلفظ بتوصيل معلومة ما، فإنه يبني كلامه بحسب حال المستمع (أو القارئ)، وهذا ما يجعله يُفصّل أو يعمم في كلامه. ومن أجل فهم نص ما، يقوم المتلفظ المشارك ببناء تمثيل ذهني يحتاج من أجل ذلك لمعرفة واسعة حول الموضوع، فلا بد أن يملأ هذه الفراغات في ذهنه، ويذهب الباحثان في تصورهما للمعارف الموسوعية التي يحتاج إليها المتلفظ المشارك إلى ما يدخل في الذاكرة الدلالية، مما يتعلق بالحقائق الكلية، والتي لا تأتي في الكلام الطبيعي إلا نادرا، فعندما نتحدث عن حادث سيارة مثلا، فمن الحقائق العلمية التي لا يحتاج المتلفظ أن يذكّر بها، ما يتعلق بمعنى السيارة، ومعنى الطريق السريع، وكون حوادث السيارات قد تكون قاتلة، وغير ذلك. كما يدخل فيها المعارف العامة التي عند المتلفظ المشارك، فبقدر معرفته بموضوع النص وبالإحالات التي يشير عليها بقدر ما يزيد تمثيله للنص، ولهذا تختلف تمثيلات النص في الذهن، وعليه فالفهم يتم بتفعيل المعطيات الخارجية، وكذلك الداخلية، والمعلومات الإدراكية. وهنا يمكن أن نلمس أهمية القضايا المحذوفة من أساس النص الصريح التي أشرنا إليها أعلاه، والتي يحتاج المحلل لأن يضيفها إلى قضايا النص التي أثبتها المتلفظ، لكي يكون تحليله أقرب إلى فهم المتلفظ المشارك، ولا يكون مبتورا.

سادسا: وإذْ أشرت إلى جانب من العوامل التداولية في تشكيل التمثيل النصي، لا بد من التذكير بأهمية المعلومات التي يستنبطها المتلقي من المقام، إذ كما يشير شارول فـ « إن الأخذ بالاعتبار لهذه الخصائص ضرورة تحليلية، كما أنها تشكل ربحا» (Charolles, 1976, 149) ف**توظيف المقام في التعرف على الماكروبنية** من أهم الاستراتيجيات التي يقوم عليها الفهم، ومفهوم الخطاب عند فان دايك «يتعلق ببعضٍ من العالم نسميه المقام، وعليه، فالنموذج هو النظير الإدراكي لمثل هذا المقام» (Van Dijk, 1987, 161). هذا النموذج

المقامي يفترض أنه تمثيل لتجارب خاصة وبالتالي جزء من الذاكرة العرَضية (Episodic memory)، فيتشخص النموذج في المعلومات الخاصة التي لدى الأفراد حول مقام التلفظ، وهذه المعرفة تراكمت من خلال تجارب سابقة مع نفس المقام، وكل معلومة حول هذا المقام يمكن أن يستعمل لتحيين وتوسيع النموذج الموجود في الذاكرة العرضية.

5. وظائف الماكروبنية

ارتأينا أن نشير إلى مجموعة من «الوظائف» الإجرائية للتحليل الماكروبنوي قصد تسليط الضوء على بعض الفوائد المتعلقة بها، إذ حدد فان دايك مجموعة من (الماكرو) وظائف تبرر فائدتها في التحليل، وتبرز حاجة المستخدم إليها، ونذكر من هذه الوظائف ما يأتي:

1. **التنظيم:** تقوم عمليات التحليل الذهنية بتنظيم الوحدات الصغرى؛ ترتيبا وجمعا وربطا بها، وقد يكون من السهل القيام بهذا إذا تعلق الأمر بجملة واحدة، مثلا. لكن، حين يتعاطى المستعمل معلومات معقّدة لن يكون الأمر بهذه السهولة، وهنا يدخل دور التحليل الماكروبنوي فتقوم بوصل وحدات محليّة جزئية، بحيث تشكل منها معلومات معقدة، تكون على شكل: خطابات، أو إپيزودات (Episods)، أو متتالية من الأحداث، حيث تتم عملية تحليلها في الذاكرة العرضية. ولهذه الوظيفة فائدة جلية، إذ لولا التحليل الماكروبنوي لما استطاع المتلقي (المتلفظ المشارك) بناء معنى متكامل، ولصار فهمه لجزئيات «المتوالية المعقّدة» مشتتا مفتقدا للنصية، والحدة والترابط.

2. **الاختزال:** وهذه الوظيفة مرتبطة بسابقتيها، فهي تمكن المتلقي الربط بين الأفكار ذات الطبيعة المعقدة التي يتلقاها، ثم يستطيع أن يحتفظ بها في ذاكرته ليتمكن من استرجاعها أثناء قراءته، أو بعدها، فيساعده التحليل الماكروبنوي على اختزال هذه المعلومات في صورة قاعدية مجرّدة، وتربط وظيفة الاختزال هذه بوظيفة الحفظ، إذ يقوم الذهن بحفظ المعطيات المعقدة مختزلة في أغلب الأحيان،

ليقوم إذا طلب منه استرجاعها بالبناء على قاعدة ما اختزله، سادًا الفراغ ومضيفا إليه من معارفه وفهمه، وهو ما يفسر اختلاف ما يتم استرجاعه من متلق إلى آخر بالإضافة إلى ما أشرنا إليه أعلاه، مما يدخل في باب الاهتمامات والآراء والاعتقادات...الخ.

3. **الحفظ:** لا بد أن كل قارئ يرجو أن يتذكر ما قرأه، وأن يستحضر المعلومات التي قرأها. وهنا تظهر فائدة الماكروبنية، منطلقا من اختزاله المعلومات المعقدة. ولا شك في أهمية هذه الوظيفة، إذ هي نتيجة التحليل والفهم، والفائدة المرجوة من القراءة في المكان الأول. ولا يتوقف هذا فقط على عملية الفهم ولكن أيضا على الإنتاج والتخطيط والتحكم والتنفيذ لمهمات معقدة جدا.

4. وبالإضافة إلى الوظائف السابقة، يمكن أن نضيف إليها **الفائدة الاتساقية** للبنى الكبرى، فالاتساق لا يكون فقط في المستوى المحلي (الميكروبنوي)، ولكن أيضا في المستوى الكلي (الماكروبنوي)، فالبنى الكبرى لا تسمح فقط بالتخطيط الكلي للنص، والتحكم بأحداث المتواليات التي يشرع فيها المنتج أو المتلقي، أو تلك المستقبلية، ولكن تضمن أيضا الاتساق ووظائفه الملاءمة في السياق الاجتماعي.

خلاصة:

والحاصل إذًا، أن النموذج الذي دعا إليه فان دايك وكينتش يُرجِع بناء النص إلى تمثيل دلالي وتداولي لأساس النص، بحيث يَرجع تحليله إلى مستويين، فمن أجل تحليل النص هناك إجراءات تتعلق:

أ- المستوى المحلي (أو الميكروبنوي)، من دراسة المستويات الصوتية والإفرادية والتراكيبية والدلالية، ويدخل في هذا دراسة ترابط الجمل في مستوى محلي (غير معقد)؛

ب- المستوى الكلي (أو الماكروبنوي)، ويدخل في هذا الكتل النصية المعقدة، كـ: المتواليات الجملية؛ الفقرات؛ الفصول؛ الأبواب...الخ

- إضافة إلى العناصر المقامية المتعلقة بالنص. ويمكن معرفة الحدود بين

المستويين؛ الكلي والمحلي للنص، بالرجوع إلى مستويات الحفظ في الذاكرة (معيار إدراكي)؛ إلا أنه قد يحصل تداخل أو تطابق بينهما أحيانا، وذلك حين يتركب النص/الخطاب من جملة واحدة مثلا.

وتتكون الماكروبنية من متتالية من الجمل أو الملفوظات تتعالق فيما بينها، وكون النص متوفرا على انسجام في بنيته الصغرى لا يعني بالضرورة أنه منسجم في بنيته الكبرى، لذا لا بد كذلك أن ترتبط بالموضوع العام.

كما أن الانتقال بين هذين المستويين يتم عبر مجموعة من القواعد تطبق على القضايا التي تشكل أساس النص، وتتشكل القضايا في هذا التوجه من محمولات وموضوعات سواء تعلق الأمر بتمثيلات حادثة في العالم أو حقائق عامة، بحيث يتم الانسجام عن طريق المحمولات التي تشترك فيها القضايا المختلفة، ومنه فبعدد ما تدل عليه القضايا من أحداث بقدر ما يكون تقرير الانسجام يسيرا، وبقدر ما يكون الرابط مُهما، وبحسب النظرة الأولى فعدد المحمولات المشتركة بين القضايا هو ما يحدد الانسجام وهرمية الأهمية بغض النظر عن الطبيعة الدلالية للقضايا.

والماكروبنية ترجع إلى الجانب الدلالي للنص، وكيف يتمثل هذا النص في دماغ مستعمل اللغة؛ وإلى المقام، بمعرفة العناصر الملائمة لاعتمادها في الفهم من غيرها. وتسعى الأبحاث التي قام بها فان دايك وكينتش على استحداث نموذج يقوم بمضاهاة التمثيل الذي يقوم به مستعمل اللغة في الدماغ.

كما رأينا، في ثنايا البحث، كيف يشتغل مفهوم الماكروبنية على تحديد أهم الأفكار الواردة في النص، أو «الخطوط العريضة» التي تحدّث عنها، وكيف يختلف تذكر ما جاء في النص من متلق إلى آخر، بما يرجع إلى المقام أو الخلفيات المعرفية والاستعدادات اللغوية والاهتمامات الخاصة به، وما مدى إمكانية إيجاد قواعد عامة تمكننا من استخراجها، إذ إنه حتى ولو كانت عملية استخراج الماكروبنية عملية ذاتية (أو نسبية) وموضعها ينجز في دماغ المتلفظ المشارك، إلا أنه يمكننا أن نجد لها عناصر موضوعية، تمكننا من ضبطها وتقنينها.

ويمكن استخراج الماكروبنية من أساس النص عن طريق ما دعاه فان دايك بالماكروقواعد التي تطبق على القضايا والمتواليات، سواء كان معبّرا عنها صراحة في النص أو كانت مضمنة تستنبط من المعارف العامة. لتحولها من مستواها المحلي إلى المستوى المعقد. ويستعمل المحلل من أجل القيام بهذا التحويل مجموعة من القواعد، غير أن هذه القواعد لا يمكن الاعتماد عليها كليا في استنباط ماكروبنية النص، لأنه لا يمكن حصر الاحتمالات التي تحمل المتلفظ المشارك على الاحتفاظ بمعلومة دون غيرها، لكونه راجعا إلى تفعيل مبدأ الملاءمة في المقام والاستعدادات، وهذا ما لا يمكن ضبطه بقواعد شكلية مجردة.

الاحالات

1-استعمل هذه الترجمة للمصطلح عبد القادر الفاسي الفهري في قاموسه، واختيارنا استعمال السوابق (ماكرو، وميكرو) عن استعمال الترجمات التي هي أكثر انتشارا (على محدودية انتشارها في الدراسات العربية أساسا) كان قصد الابتعاد عن اللبس الذي قد توقع فيه تلك الترجمات بين ما هو اصطلاح ميتا لغوي وما هو استعمال لغوي تواصلي عادي، وهو ما نلمسه في ثلاثة أمور:

• يستعمل فان دايك للتعبير عن هذا المفهوم: المصطلح (Macrostructure) كما يستعمل في كثير من الأحيان وصفا تبسيطيا له بقوله (Global Structure) وهو ما نترجمه هنا بالبنية الكلية؛

• من أجل الاحتفاظ بالخلفية المفهومية لهذه السوابق (ماكرو، وميكرو) حيث أراد فان دايك وكينتش ربطها بالمفهوم في علم النفس، وكذا نجد لهذه السوابق استعمالا في التطور البيولوجي، وفي علم الأعصاب، والاقتصاد، وارتباط معنى هذه السوابق يحيل دلاليا إلى المعنى المشترك بين كل هذه المصطلحات؛

• بالإضافة إلى استعمال هذه السوابق في ميادين أخرى، نجد استعمالا لها كذلك في اللسانيات، فقد فتحت اقتراحات فان دايك وكينتش الباب لمفاهيم كثيرة تدور حول هذا الفلك، منها: ((Macro-acte)، (Macroproposition)، (MacroFACT)، (Macrolevel)، (Macrorule)، (Macro-contexte))، وكذا عند غيرهما: (Macrolinguistics)، (Macrotext)، (Macrosyntaxe)...الخ. وقد توقع ترجمة هذه السوابق هنا إلى «أكبر/أصغر» أو «كلي/جزئي» في اللبس في كثير من الأحيان.

2- بعض هذه المفاهيم قد تلتبس فيما بينها، وقد اختلف في تحديدها اللسانيون، على أني سأستعمل في بحثي هذا: «الجملة»: بمعناها النحوي، على ما اشتهر عند نحاة اللغة العربية، و«القضية»: بمعناها الدلالي، كما استعمله اللسانيون المحدثون وسأعود إلى تفصيل معناها في متن هذا البحث فيما يأتي، وسأخص المعنى الخطي في الاستعمال بمصطلح «العبارة»، وانظر تفصيلا فأكثر في (قاسمي، 2020، ص 159-170).

3- اختلف اللسانيون في مفهوم هذين المصطلحين، والحدود التي بينهما، بما لا يسع المجال لتفصيله، غير أني سأستعمل «النص» في هذا البحث بالمعنى الذي قصده له هاليداي وحسن، (Halliday, et al., 1976, 293).

4- يحاول نموذج كينتش محاكاة عملية التمثيلات الذهنية لفهم النص عند الإنسان، وقد سمى نموذجه نموذج البناء-الإدماج (The construction-integration model)، وقد طور هذا النموذج من النموذج الاستراتيجي الذي اشترك في بنائه مع فان دايك.

5- والدليل على هذا تنوع الدراسات التي حاوت التفريق بين هذه المفاهيم، أحيل منها هنا إلى العدد 98 من مجلة (L'Information Grammaticale) التي صدرت سنة 2003، وكانت خاصة بمفهوم الجملة والمفاهيم المجاورة له.

6- وهو يقصد بقوله: "صريح"ا لاستدلالات التي يمكن أن تحقق ترابطا بين دلالة الجمل والكلمات (أي: الميكروبنية) وبين دلالة الماكروبنية.

7- قارن بما جاء في المقال المعنون بـ: "Teun Van Dijk'stextgrammar models: A critique"، ليونارد أور (Leonard Orr) في (Orr ، 1984)

8- قدم فان دايك عرضا ثريا للدراسات المعرفية النفسية التي ركزت على اللغة، انظره في:

- **Van Dijk,** Teun A. **On macrostructures, mental models, and other inventions:** A brief personal history of the Kintsch-van Dijk theory. In: ***Discourse Comprehension.*** Essays in Honor of Walter Kintsch, Edited by: Weaver, Ch.A. III, Mannes, S. and Fletcher, C.R. 383–410., Lawrence Erlbaum Associates, 1995 p.p. 386- 388

قائمة المصادر والمراجع

- Dominique-Guy Brassart. (1990). Retour(s) sur «Mir Rose» ou comment analyser et représenter le texte *argumentatif* (écrit)? *Argumentation*(4).
- Tulving, E.(1972). Episodic and semantic memory. تأليف E. Tulving, W. Donaldson, Organization of Memory.New York: Academic Press.
- Guy, D, Serge, B. (1992). Lecture, *compréhension de texte et sciences cognitives.*Paris: Puf.
- Grice, H.P. (1968). *Utterer's Meaning, Sentence Meaning, and Word Meaning*. Foundations of Language 4(Reprinted as ch.6 of Grice 1989, pp. 117–137.).
- Tapiero,I. (1993). *Caractéristiques de la structure sémantique locale et rappel de récits par des enfants de 7 ans*. Enfance، 46(2).
- Le Ny.J.F. (1987). *Sémantique psychologique*. تأليف Jean A. Reandal et Jean-Pierre Thibaut، Problemes de pscholinguistique, textes assemblés. Bruxelles: Mardaga.
- Petöfi, J. (1971). *Generativity And Text-Grammar*. *Folia Linguistica*, Acta Societatis Linguisticae Europaeae,، 5 (34-).
- Jean-Michel, A. (2015). *La linguistique textuelle.Paris*: *Armand Colin*.
- LeonardOrr. (1984). *Teun Van Dijk's text grammar models*: *A critique*. *Neophilologus*,1–8(68).
- Halliday, M.A.K., Ruqaiya, H. (1976). *Cohesion in English.London*: *Longman*.
- Charolles, M. (1976). Grammaire de texte, Théorie du discours –

Narrativité. pratiques,1112/.

- Van Dijk,T.A.(1987). Episodic models in discourse processing. تأليف R. Horowitz, S. J. Samuel, Comprehending oral and writing language.New York: Academic Press.
- Teun A., Dijk,V. (1977). *Text and context, exploration of semantics and pragmatics of discourse*. London, New York: Longman.
- Teun A. Dijk.V. (1980). *Macrostructures*: *An Interdisciplinary study of global structures in discourse, Interaction, and cognition*. New Jersey: LAWRENCE ERLBAUM ASSOCIATES, PUBLISHERS Hillsdale.
- Teun A. Dijk,V, walter Kintsch. .(1983). *Strategies of Discourse Comprehension*. New York: Academic Press.
- Walter, K. (2002). *On the notions of theme and topic in psychological process models of text comprehension*. تأليف M. Louwerse&W. van Peer (Editors), Thematics: Interdisciplinary Studies.Amsterdam: Benjamins.
- William, L., Waletzky, j. (1967). *Narrative analysis*: *Oral versions of personal experience*. تأليف June Helm، Essays on the Verbal and Visual Arts.Seattle: WA: University of Washington Press.
- قاسمي، ع. ا. (2020). أجناس النصوص. الجزائر: كوكب العلوم.